القسم الأول

مستوى الوصف والتحليل

المنهج التربوي الفقهي بالغرب الإسلامي

خصائصه وعناصره

تمهيد

أحاول في هذا القسم وصف مناهج تدريس الفقه التي اعتمدها علماء الغرب الإسلامي، وتحليل بنيتها وعناصرها، من أجل تقريبها ما أمكن إلى التصوّر. ولأن التدريس عمل إنساني معقّد، تتفاعل فيه عدّة عوامل منها ما هو بشري، ومنها ما هو علميّ أو تقنيّ، -الأمر الذي يجعل وصف منهج التدريس أمراً صعباً- فإنني قد استعرتُ اصطلاحاً تربوياً معاصراً لتحليل المناهج التراثية؛ أقصد اصطلاح «المنهج التربوي».

والداعي إلى هذه الاستعارة، هو أن هذا الاصطلاح يُمكّن من تفكيك عملية التعليم إلى عناصرها الأساسية، مما يُيسِّر علينا الوصف والتحليل، ويُسَهِّل تنظيمه بشكل منطقي، وقد علمنا سابقاً -في المداخل الاصطلاحية- أن المنهج التربوي يتضمّن أربعة عناصر هي: الأهداف، المحتوى المعرفي، الطرق والوسائل المتبعة في التعليم، ثم تقويم المحصّلات والنتائج. هذه العناصر الأربعة هي مقتضى الإجابة عن أربعة أسئلة أساسية، أولها: لماذا نعلِّم؟ ثانيها: ماذا نعلِّم؟ ثالثها: كيف نعلِّم؟ رابعُها: كيف يمكن الحُكْم على النتائج؟

ولعل سائلاً يسأل: كيف تستعير اصطلاح «المنهج التربوي» في وصف التدريس التراثي؟ أليس في ذلك نوع من الإسقاط الذي حذّرت منه في المداخل المنهجية؟

وأبادر بالقول إن استعارة هذا الاصطلاح لن تُغيّر من حقيقة الموصوف شيئاً، وفائدتها هي تيسير الوصف والتحليل، وتقديمهما بشكل منظم. ثم إن هذا الاصطلاح وإن لم يكن رائجاً في الأدبيات التربوية القديمة، إلا أن

حقيقته ومسمّاه لا تخلو منهما أية عملية تعليمية، كل ما في الأمر أن التدريس عند الأقدمين كان مهنة يغلبُ عليها الجانب العملي، ولم يكن الاهتمام كبيراً بالجانب النظري، لذلك لم نلفهم يعتنون بذكر أهداف التعليم أو طرق التدريس أو أساليب التقويم،كما اعتنى بها المعاصرون، وليس معنى هذا أن التعليم في القديم لم يكن خاضعاً لأهداف مسبقة أو كانَ خُلْواً عن التقويم أو غير ذلك من عناصر المنهج التربوي.

لذلك، فإن استعمال هذا الاصطلاح المعاصر أمرٌ لا غضاضة فيه، فهو يُعين على الوصف والتنظيم، ويُساعد على إظهار ما كان مُضمراً في التدريس التراثي.

قسمتُ هذا القسم إلى أربعة فصول، كل فصل منها يتناول منهجاً من مناهج تدريس الفقه بالغرب الإسلامي، على النحو الآتي:

الفصل الأول: المنهج التربوي في فقه السَّمَاعَات.

الفصل الثاني: المنهج التربوي في فقه التفريعات.

الفصل الثالث: المنهج التربوي في فقه التأصيلات.

الفصل الرابع: المنهج التربوي في فقه المختصرات.